ضد « العالم المتحضر » .
وبنسبة ما « يحترمنا » « العالم المتحضر » على هذه الحرب ، بنسبة ما يدين نفسه . فبسببه وحده وقعت .
وهو الآن « يحترمنا » لاننا خضناها .
وها نحن نحتقره على هذا « الاحترام » .
ففي « احترامه » هذا فضيحته كلها .

الفعل ، الفن ، أيهما ؟

توفيق الحكيم يطلب « عملا يدويا » يساهم به في المعركة لان الكلمة ، كما قال ، لم تعد تكفي الآن .

وبالامس ، شيخ آخر هو اندريه مالرو ، شيخ كلمة وشيخ عمر ، عرض هو ايضا ان يحمل السلاح .

لماذا يتاثر الناس بنوع خاص حين تصدر بادرة كهذه عن فنان ؟ لان الفن هو ، بالضبط ، عكس الحرب . فالاول يحيي والاخرى تميت ، والاول فعل حب والاخرى اما ان تكون فعل يأس او تكون فعل جنون .

ولان الفن هو نقيض الحرب ، فعندما يقدم الفنان نفسه هدية في ساحة المعركة ويطلب ان يحمل السلاح كالجنود ، أو ان يقوم بعمل « يدوي » نافع نفعا مباشرا وسريعا ، فانما يعطي الحرب وجها انسانيا يرقى بها الى مستوى الجهاد المقدس في سبيل مثل عليا طاهرة .

يعطيها « ضميرا » ، يعطيها شفاعة عند الروح .

وهكذا يتعطل الفن ، تتعطل الكلمة حين يعمل المدفع .

وقبل ذلك قال نزار قباني ، عندما سئل كلمة في المعركة : الكلمة الآن للمعركة .

وأمس قال لي مسرحيان صديقان : أوقفنا مسرحية كنا نعدها ، ولا نعرف ان كنا سنعمل غيرها ، فلا نشعر ان هناك الآن ما نستطيع ان نقوله ..

لماذا ؟ لماذا يتعطل الفن في الحرب ؟ ربما لان الفن تأمل والحرب حركة ، ولان الحركة تنسف التأمل . ربما . وربما لان الفن حلم يخترق الحياة ، ولان الحرب يقظة تجتاح التاريخ .

ربما .

لكن أيبقى الفنان مشلولا امام طغيان التاريخ ؟ ام يتخطاه برؤياه ، بحدسه ، بالجزء اللازمني فيه ؟

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

لكن الفنان ، اذا فضل الفعل في لحظات استثنائية من التاريخ كاللحظات التي نعيشها ، فانما يفعل ذلك عطاء منه « فوق » عطائه الاصلي . يفعل ذلك ليعطي مثلا وليس يفعله ليسحب الثقة من الفن .

فالفن هو ذاته يتضمن الفعل . يتضمنه ويبدعه ويسبقه ، ويبقى بعده .

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

ويتردد الفنان احيانا ، وقد يتردد طويلا قبل ان يجيب . لكنه في النهاية يجيب : الفن .

لكل جبهته .

ولكل سلاحه على جبهته .

ولكل استشهاده ...

ملحق النهار
٢١ تشرين الاول

الياس لحود

مدافع اعماق الجولان

تصحو أشواق سفوحك .. تخضر العتمات ..
تدوّن ايقاعات الوثبة في أجنحة الزمن
الصاعد من حفر التاريخ ، وطائرة
تنقضّ على طائرة تسقطها في الصخب ،
تعود الى الاجواء العربية .. بالامس
رأينا عملاق الاسطورة ينزل عن صهوات
الآلهة ليصبح في اسر الاحزان بقايا
انسان مشدود الاذنين ..

* * *

وتصدح في الاحداق مدافع اعماق الجولان
كأن الوتر السادس في القيثارة يعزف وحده ..
اعرفكم تنتظرون ، على جثث الايام ، الفرحة
اعرفكم تصبون وفي الاعماق اجيج الالحان
الخامدة يطأطىء مضغوطا .. اعرفكم في
الاودية وفي القمم الفاضبة .. مدافع
اعماق الجولان .. كأن آوتر السادس ،
طائرة تصعد في العصب الذابل ...
ينتفض الشريان العصب ، يطير
النسر تنوح الدبابات الاخرى ،
طائرة تسقط اسطوره ..
تلتطم الجهة الاخرى بالتاريخ يفيض
اللحن ويفرق آخر ضوء ، ينزل علم
عن صهوة قمه ..
يتدحرج يأس آخر ،

* * *

مدافع اعماق الجولان
وكان الفجر ينادي المرتفعات الوسطى
كانت الحان القيثارة من كل مكان تبدو
حتى من سيناء ..
مدافع اعماق الجولان
وصواريخ الليل ، انا في ليلة عرس اكبر

(بيروت ـ مرجعيون)